

نظام التعليم في الكتيبات بين الماضي والحاضر: شمال نيجيريا نموذجاً

*Education System in The Booklets Between the Past and The Present:
Northern Nigeria Is a Model*

الدكتور مرتضى الإمام أكبيدي

قسم اللغة العربية، كلية الآداب، جامعة إلورن، إلورن، نيجيريا

Muritala Imam Akeyede

Department of Arabic, Faculty of Arts, University of Ilorin,

Ilorin, NIGERIA

murtadoakeyede1979@gmail.com

Published: 31 December 2021

To cite this article (APA): Akeyede, M. I. (2021). نظام التعليم في الكتيبات بين الماضي والحاضر: شمال نيجيريا. *SIBAWAYH Arabic Language and Education*, 2(2), 112-124. <https://doi.org/10.37134/sibawayh.vol2.2.7.2021>

To link to this article: <https://doi.org/10.37134/sibawayh.vol2.2.7.2021>

ملخص

تهدف هذه الورقة دراسة نظام التعليم في الكتيبات بين الماضي والحاضر مع العلم أنّ هذه المدارس هي المنبع الأول والمعين الصافي الذي يتناول فيه الأطفال الصغار قراءة القرآن الكريم وحفظ بعض السور القرآنية وبعض المبادئ الدينية. ولا تزال هذه المدارس من كونها اللبنة الأولى لبناء تعليم اللغة العربية وثقافتها الإسلامية لأنه بدون إتقان قراءة القرآن الكريم لا يمكن إجادة تعليم اللغة العربية كتابة وخطابة؛ لأن القرآن الكريم يعتبر فهمه أساساً قوياً في فهم اللغة العربية سواء للناطقين بها وغير الناطقين بها. وتعتمد هذه الدراسة على المنهج الوصفي التحليلي لأهمية التتبع والاستقراء رغبة الموازنة بين النظام القديم والنظام الحديث في الكتيبات مع مراعاة خصائص كل منهما، ويمكن ذلك كله من خلال الإجابة عن هذه الأسئلة الآتية: 1- ما هي الكتيبات؟ 2- وما دورها في غرس باكورة ثقافة الأطفال الإسلامية؟ 3- وما هو نظام التعليم في المدارس القرآنية في العصر الماضي؟ 4- وما هو نظام هذا التعليم في العصر الحاضر وبناء على ما سبق تأتي محاور هذا البحث على النمط الآتي:

* ماهية الكتيبات

* دور هذه الكتيبات في غرس بذور الثقافة الإسلامية

* نظام الكتيبات القديم مناقبه ومثاله

* نظام الكتيبات المعاصر جودته وردائه

* الخاتمة.

الكلمات المفتاحية: النظام التعليم الكتيبات الماضي والحاضر

Abstract

This paper aims to study the educational system in Arabic elementary schools between the past and the present systems, bearing in mind that these schools are the first solid Arabic foundations and bright concrete in which young children deal with reading the Holy Qur'an Kareem and memorizing of some Qur'anic Verses and some religious principles. These schools are still from being the first foundation for teaching the Arabic language and its Islamic culture, because without mastering the reading of the Holy Qur'an properly, it is not possible to master the Arabic language in writing, reading and communicating. Because, understanding of Noble Qur'an it's a strong basis in understanding the Arabic language, both for its speakers and non-speakers. This study relies on the descriptive and analytical methods to enable it to trace, compare and contrast between the old system and the modern system in the Arabic elementary schools, by taking into account the characteristics of both of them, and this can be done by answering these following questions: 1- What are the Arabic elementary schools? 2- What is its role in inculcating the earliest Islamic culture in children? 3- What is the education system in Qur'anic schools in the past era? 4- What is the system of this education in the present age, and based on the above, the hubs of this research come as follows:

?What are the katateeb *

The role of these katateeb in planting the seeds of Islamic culture *

The old school system, its virtues and iniquities *

The contemporary school system, its quality and inferiority *

.Conclusion *

Keywords: Method Education, Kataateeb, Past Present

المقدمة:

المدارس القرآنية هي أماكن تعليمية يرتادها التلاميذ بصفة أنها محاولة بدائية لتحصيل العلم والمعرفة. وتعتبر حجراً أساسياً في تكوين شخصيات المجتمع من كتاب وخطباء وأئمة ومفكرين، وأهلي المائدة المعنوية التي تغذي العقل البشري وتأخذ بالروح الإنساني نحو المجد والصلاح. ولأهمية هذه الكتاتيب تهدف الورقة إلى نظام التعليم فيها مع بيان خصائصها في الماضي والحاضر .

المبحث الأول: ماهية الكتاتيب ودورها في غرس بذور الثقافة الإسلامية

مما لا يختلف فيه اثنان أن غار حراء يمثل أول كتاتيب؛ حيث كان الرسول يعتزل فيه إلى أن جاءه فيه رسول الوحي جبريل عليه السلام وكان يأمره بالقراءة كما تحملها ظاهرة قوله تعالاً قرأ باسم ربك الذي خلق* خلق الإنسان من علق* اقرأ وربك الأكرم* الذي علم بالقلم* علم الإنسان ما لم يعلم* (سورة العلق 1-5) وهذه الآيات تمثل البذور الأولى في التعليم الإسلامي حيث اشتملت على وسيلتين من وسائل التعليم وهما القراءة والكتابة.

ونفهم من هذه الآيات تلك الأهمية الكبرى التي نيطت بالتعليم الذي له صلة قوية بأداء الصلاة وتبليغ الرسالة ونشر الدعوة الإسلامية إذ هي لا تصلح إلا بالتزود بقدر كاف من العلم؛ ولأجل هذه الأهمية تمثل هذه الآية أول ما نزل به جبريل عليه السلام، وجاء كثير من الأحاديث النبوية شارحة لهذا الكتاب المجيد الذي يهيمن على الماضي والحاضر والمستقبل. (المكاشفي، 2011: 4) ومن هذا المنطلق، كانت الصحابة الكرام رضوان الله عليهم يتلقون القرآن من النبي صلى الله عليه وسلم آية تلو أخرى، واتخذوا زاوية من مسجده الشريف لمدارس ما أخذوا عن

الرسول من التعليم إلى أن نقلوا أخيراً إلى دار الأرقم بن أبي الأرقم التي كانت تمثل أول دهايزز التعليم التي يعلم فيها في كل الصبيحة والظهيرة والمساء.

وعلى غرار هذا المنهج النبوي الشريف سار خلفاؤه الراشدون والتابعون ومن بعدهم في تعليم الناس القرآن الكريم وغيره من المبادئ الإسلامية في داخل دهليز أو كُتَّاب أوزاوية من المسجد، وكان العلماء -ولا يزالون- يلزمون على تلاميذهم حفظ القرآن الكريم أو بعض السور منه، اعتقاداً بأنه يساعد الطفل على سرعة النمو العقلي ونضوج الفهم كما يساعد على التفتح السريع على الثقافة العربية والإسلامية. (شريف، 2020) كما اعتقد بعض العلماء أن تعليم اللغة العربية عن طريق تعلّم القرآن الكريم يقيم الألسنة، ويرتقي بملكات الفصاحة والبيان، وكذا تعليم اللغة العربية وعلومها من مفاتيح فهم القرآن الكريم وعلومه والإمام بالشرعية وأحكامها. (محمد خليفة، 2017: 316) وهذا المقال يقرر ما لهذه الكتابات من جهود مضيئة تبذلها في غرس تلك الثقافة الإسلامية والتوعية العمرانية الإنسانية للأمم، وقد أنجبت هذه الكتابات العدد الهائل من العلماء النابغين والمفكرين المثقفين والأعلام المشتهرة في فنون العلم والمعرفة.

*هدف الكتابات وأسلوب التعليم فيها

ومن الأهداف التي تعمل لتحقيقها هذه الكتابات ما يأتي في سطور تالية مع الإشارة إلى بعض أساليب التعليم فيها حسب ما يلي:

- 1- السعي الحثيث وراء تغذية الإنسان المسلم بمعرفة ما يؤدي به عبادته من القرآن الكريم؛ لأن العبادة لا تؤدي على وجه الصحيح إلا بمعرفة القرآن الكريم والاستطاعة على قراءته أو قراءة بعض سوره قراءة صحيحة.
- 2- توفير الجو المناسب لتلقي القرآن الكريم سرداً وأداءً وحفظاً وكتابةً يتدرب بها التلاميذ بالكتابة على الألواح الخشبية مبدئياً قبل الكتابة في الأوراق.
- 3- تقويم ألسن التلاميذ بالعربية الفصحى اعتماداً على الطريقة الألفبائية التي تركز على مخارج الحروف والحركات والمدود، وهو يعالج جذرياً مشكلة الركافة في القراءة والكتابة في كثير من مدارس الأساس وغيرها. (محمد خليفة، 2017: 316-317)

ومما يؤيد هذه الأهداف مقالة الإمام الغزالي حين يبيّن أنّ الطفل يجب أن يتعلم في الكُتَّاب القرآني أولاً، القرآن الكريم وأحاديث الأخبار ثم حكايات الأبرار وأحوالهم ثم بعض الأحكام الدينية فالشعر على أن يحفظ الطفل بعض الأشعار . ويضيف ابن مسكويه بعد هذه المواد مبادئ الحساب وقليلاً من قواعد اللغة العربية تطبيقية، (عبد الله بن أهنية، 2018). أليست كل هذه المواد المذكورة من بذور الثقافة الإسلامية التي تسعى هذه المدارس القرآنية غرسها في عقول المتعلمين الدارسين العاكفين فيها.

ومن الحقائق أن المدارس القرآنية أو الكتابات التعليمية ظهرت بظهور الإسلام في نيجيريا، وكان مجتمع المسلم النيجيري كغيره يهتم بهذه المدارس ويرسل الأطفال بنين وبنات إليها، فيتعلمون شيئاً من القرآن الكريم كما

يتعلمون بعض المبادئ الإسلامية. وتلك المبادئ الإسلامية تمثل بذور الثقافة العربية التي نتحدث عنها والتي يتناولها الأطفال في تلك المدارس القرآنية (غلاذشي، 1993: 47) وما ينبغي الإشارة إليها في هذا المجال أن هذه المدارس القرآنية كانت تسهم إسهاما بالغا في ناحية تعليم القراءة والكتابة فهي الوحيدة في ذلك العصر تنشر هذه الثقافة العربية في نيجيريا، فإذا أكمل التلميذ هذه الدراسة يستطيع بعد ذلك قراءة القرآن الكريم ويقرأ كذلك لغته ويكتبها. فهي بمثابة المدارس الأولية أو تكاد تشبه ذلك الجهود الذي يبذل في عصرنا هذا لمحو الأمية في بعض الدول العالمية وكل ذلك لم يكن يكلف الدولة مليما (غلاذشي، 1997: 48)

المؤسسات التربوية في حضارة المدارس القرآنية القديمة:

شملت المؤسسات التربوية القديمة كلا من الكتاتيب و المساجد و الرابطات و المكتبات العمومية و الخاصة، و قصور الأمراء، و دور العلماء، و حتى الدكاكين... الخ.

و ظهر هذا التعليم في أواخر القرن الأول الهجري في عهد الخليفة عمر بن عبد العزيز حيث قام هذا الأخير ببعث عشرة فقهاء أهل علم و فضل، فقاموا بنشر تعاليم الإسلام أحسن قيام.

و يقول ابن خلدون في هذا الموضوع : و كان هؤلاء الصحابة و التابعون هم أول المعلمين في القيروان الذين نشروا القرآن و السنة. و مبادئ اللغة العربية بين أبناء البربر، و بذلك تم إسلام البربر، و أصبحت لغتهم العربية.

1- المسجد: هو مكان للعبادة و مدرسة لتعليم الناس القرآن و الكتابة و تحفيظهم كتاب الله، و هو جامعة مفتوحة تعقد فيها حلقات المستويات، فهي مركز إعلامي للإسلام، و ملجأ لمن لا ملجأ له

2- الزوايا: لقد ظهرت المؤسسة نتيجة التخلف و الجهل، و انتشار ظاهرة الزهد عن الدنيا، والانشغال بالآخرة، و ظهرت الزوايا على نطاق واسع في المدن و القرى و خاصة في العهد التركي، و الزاوية بيت أو مجموعة من بيوت بناها بعض الفضلاء لإيواء الضيوف، و قراءة القرآن، و ذكر الله.

و أهم أعمال الزوايا التربية و التعليم، زيادة عن أعمالها الثقافية فإنها كانت مركزا للغرباء والفقراء، و ملاجئ للمجاهدين و الفدائيين أيام الثورة التحريرية الكبرى ضد فرنسا.

3- الدهليز: المدخل الممتد ما بين الباب ووسط الدار يجتمع فيه التلاميذ ليأخذوا العلم من معلمهم (مجمع اللغة العربية، 1972: 323)

4- الرباط اسم من رابطة مرابطة إذا لازم ثغر العدو و أطلق هذا اللفظ أيضا على بعض الثكنات العسكرية التي تقام في الثغور، يحرس المجاهدون فيها الحدود الإسلامية، و الرابطات هي مراكز تشبه إلى حد بعيد الزوايا في وظائفها الاجتماعية و الثقافية إلى أن مكان تواجدها يكون قريبا من مواقع الأعداء (الحدود)، و لا تقتصر الرابطات على مهمة الدفاع عن المواطن و الحفاظ على تراثه الإسلامي بل تقوم أيضا بوظيفة التعليم في الكتاتيب القرآنية.

5- الكتاتيب: جمع : الكُتَّاب: بضم الكاف و تشديد التاء : موضع تعليم الكتاب، واستعمل أحيانا ابن سحنون كلمة "مكتب" عوض لفظة "كتاب"، الكتاتيب مراكز صغيرة نسبيا، غالبا ما تتضمن حجرة أو حجرتين مهمتهما الأساسية تتمثل في تحفيظ وتعليم القرآن الكريم للصبيان، و قد تكون ملحقة بمسجد كبير (مختارية تراري، 2011)

المبحث الثاني: نظام الكتاتيب القديم خصائصه ومثالبه:

إنّ الحديث عن النظام القديم للمدارس القرآنية لا يثير أية ضجة بين العلماء وفي شمال نيجيريا بالتحديد حسب موضوع النقاش حيث يرجع تاريخ التعليم العربي في هذه البلاد إلى وقت مبكر توغل الإسلام إليها وقبل ظهور الشيخ عثمان بن فودي بعدة قرون. ومعنى هذا الخطاب هو أن الإسلام لا يتوغل في بلاد إلا توغل معه التعليم العربي الإسلامي لأن شرائع الدين لا تؤدي اللهم إلا بالتعليم العربي الإسلامي (غلاذنتي، 1993: 28-29) فحيثما وضع الإسلام قدميه يدخل معه التعليم، إذ يجب على كل مسلم أن يتعلم على الأقل تقدير ما يكفيه لأداء فرائضه من صلاة وغيرها فيتعلم بعض الآيات والسور القرآنية وبعض الاصطلاحات الدينية (غلاذنتي، 1993: 47. والإلوري، 1978: 40-41). وقد ساهم في هذا المجال كثير من المغاربة والشناقطة الذين يبرون بها في طريقهم إلى الحج ذاهبين أو عائدين، كمحمد بن عبد الكريم المغيلي وأحمد بابا التمبكتي وغيرها والنيجيريون الذين درسوا في الأزهر الشريف كمحمد الأمين الكانمي وغيره والنيجيريون الذين درسوا في المغرب وتُمبكتو والأكدز (الأقدس) كجبريل بن عمر وعثمان بن فودي وأخيه عبد الله بن فودي وغيرهم من العلماء الذين كرسوا حياتهم في نشر الإسلام والثقافة العربية (علي أبوبكر، 1972: 147) وهذا الأمر مما حمل أولي الأمر إلى إنشاء دهليز أو كُتَّاب برنوي في شمال نيجيريا لتيسير الأخذ والرد من التعليم ولممارسة التعليم والتعلّم من قبل أبناء نيجيريا الذين درسوا في الأزهر الشريف والمغرب وتُمبكتو.

كان النظام القديم في المدارس القرآنية إما في زاوية من البيت أو في المسجد أو في الدهاليز أو في الكتاتيب أو في الغرف الخشبية أو تحت الشجرة أو في فناء المنزل يعتمد بشكل أساسي على التلقين... وكانت طريقة التعليم فيها لا تختلف من منطقة إلى أخرى كما لا تختلف في نيجيريا عن مثيلاتها في مصر وغيرها، فكلها ذات طريقة تقليدية قديمة. لم تكن تلك المدارس تخضع لأيّ نظام موضوع، فليس للحكومة عليها يد وباستطاعة أي إنسان أن يفتحها ويدرس فيها إذا حفظ بعض السور القرآنية وتعلّم الكتابة والقراءة. وليس بشرط أن يحفظ القرآن الكريم كله كما كان الحال في مصر. وفي الغالب كان المعلم يبدأ بتعليم أولاده أو أولاد أقرابه وأصحابه فيرسل الناس أطفالهم بعد ذلك حتى تصبح مدرسة قرآنية. ويتعلم البنون والبنات فيها القراءة والكتابة ويستطيعون بذلك قراءة القرآن الكريم وكتابته. وفي خلال ذلك يتعلمون أيضا قراءة وكتابة لغاتهم المحلية (غلاذنتي، 1993: 47-48)

تفتتح هذه المدارس القرآنية صباحا بعد الفجر مباشرة حتى ساعة المساء في بيوت العلماء أو في المساجد أو في الدهاليز يعكفها ويعتني بها العلماء أو الأئمة ويدرسون أولئك التلاميذ القراءة والكتابة حتى يكملوا القرآن الكريم

سرداً من المصحف أو حفظاً عن ظهر الغيب. وإذا ختموا القرآن الكريم أقاموا للختم وليمة فاخرة في المدرسة يحضرها زملاء التلاميذ ليشاركوه الفرح بهذه البراعة وليرغبوا الآخرين في الجد والاجتهاد حتى الختم. ثم يختار التلميذ ما يروقه من مسالك الحياة أو يعود إلى مسالك والده تاجراً أو زارعاً أو صانعاً أو عالماً. إلا أن أبناء العلماء يضيفون إلى تعليم القرآن الكريم تعلم الكتابة ومبادئ التوحيد والفقه ليكونوا من الصغر على بصيرة من أمور دينهم الضرورية وليفهموا ما يقولون في صلواتهم اليومية من أذان وإقامة وغير ذلك، وكان النظام المتبع في هذه المدارس الإيثار على القرآن الكريم وحده يبدأ بالتلقين للأطفال بداية من قراءة الأبجدية ثم تعليم قراءة القرآن الكريم شيئاً فشيئاً أية بعد أية ثم سورة بعد سورة على أسلوب التلقين مع أنهم لا يخلطون القرآن الكريم بشيء من العلوم بل يقدمون على استظهاره حفظاً أو استطراده سرداً مع الاكتفاء بحفظ بعض السور القصار لتأدية الصلوات المفروضة وربما يوجد في القليل من يضيف إلى القرآن الكريم دروساً في التوحيد والعقيدة والصلاة خصوصاً لبيوت العلماء المشهورين (علي أبو بكر، 1972: 53) وهذا المنهج يبيّن ما أقره ابن خلدون في مقدمته عند ما يوضح المنهج المتبع في المدارس القرآنية من الكتاتيب والدهاليز التعليمية وبأنه يختلف من مكان إلى مكان آخر حيث يقول: "أما أهل المغرب فمذهبهم الاقتصار على تعليم القرآن الكريم فقط، وأخذهم أثناء المدارس بالرسم ومسائله واختلاف حملة القرآن العظيم فيه لا يخلطون ذلك بسواه في شيء من مجالس تعليمهم لا من حديث وفقه وشعر ولا من كلام العرب... (علي أبو بكر، 1972: 53)

يشير الدكتور تركي رابح إلى الطرق المستعملة قائلاً: "...تسود في الزوايا، والمساجد طريقة الحفظ والتلقين... فالمعلم هو الذي يشرح، وهو الذي يحلل ما يحتاج إلى تحليل، والمتعلمون عليهم أن يتقبلوا ما يقوله المعلم في معظم الأوقات". وكان مظهر التربية الإسلامية التدريسية سواء في المساجد أو الكتاتيب هو حلقة الدرس، حيث يجلس المعلم ويتجمع حوله مجموعة من التلاميذ، ولم يكن المعلم يستند إلى نص مكتوب، بل يعتمد على ذاكرته في إلقاء دروسه عندما يحضر التلميذ لأول مرة إلى الكتاب يقدم له الشيخ لوحة ويسجل فيها حروف الهجاء العربية في جهة واحدة، أما الجهة الثانية فيسجل عليها سورة الفاتحة، ثم يبدأ المعلم في تلقين التلميذ هذه السورة جملة ليحفظها سماعاً بدون تهجين وبدون فهم، فإذا ما حفظها في أسبوع مثلاً يمحوها بماء طاهر ثم يدهنها بمادة الصلصال ويتركها في الشمس أو قرب النار لتتشف، ثم تسطر بقلم الرصاص، ويكتب المعلم سورة الناس للحفظ بالتلقين وبالسماع وهكذا صعدا مع المصحف. أما حروف الهجاء فتبقى مسجلة في تلك الجهة من اللوحة لمدة أشهر حتى يحفظها التلميذ عن ظهر قلب، يحفظها أولاً بأسمائها: ألف، باء، تاء... ياء، همزة. ثم ينتقل التلميذ إلى نطقها هكذا باللغة العامية: "ألف ما ينطقش"، الباء وحدة من تحت... الخ. ثم ينتقل التلميذ إلى معرفة صور الحروف وأشكالها، ومعرفة وجه الشبه بينها وبين بعض الأدوات المحسوسة التي يشاهدها التلميذ كل يوم وينطق بها هكذا: الألف كالعصا، الجيم كالمخطف، وهكذا حتى آخر حرف. وبعد هذا كله ينتقل التلميذ إلى معرفة كيفية النطق بالحروف وللطفل سورا من القرآن الكريم في جهة من اللوح، ثم تأتي مرحلة ثانية تتمثل في كتابة المعلم سطوراً من القرآن في جهة من اللوح وعلى التلميذ أن يمر بقلمه الغليظ على ما كتبه

المعلم. ثم تأتي المرحلة الثالثة : يكتب المعلم سطرا و يترك سطرا فارغا فيأتي التلميذ لينقل ما كتبه معلمه في السطر الأعلى محاكيا إياه و القصد من هذه من هذه المرحلة الأولية يتمثل في تدريب التلميذ على حسن إمساك القلم و التحكم فيه صعودا و نزولا و مشيا به إلى الأمام و إلى الخلف و رفعه للتنقيط و هكذا. أما المرحلة الرابعة فيأتي دور التهجي يهجي التلميذ الكلمة التي يملئها عليه المعلم فيعدد حروفها، و يرجع عند كل حرف يريد كتابته إلى الحروف الهجاء المرسومة في اللوحة، و يسجل الحرف المعني بصورته و حركته و ينقطه إن كان يحمل نقطة و هكذا (مختارية تراري، 2001).

ومن خصائص النظام القديم ما يأتي:

- 1- إكرام الأساتذة والشيخ الذين يعلّمون التلاميذ في هذه المدارس ويجلسون التلاميذ أمامهم الوقار والهدوء كأن على رؤوسهم طيورا.
- 2- التحلي بمكارم الأخلاق الفاضلة من قبل الشيخ الأساتذة والتلاميذ الدارسين.
- 3- استعمال الألواح الخشبية لتعليم القرآن الكريم وممارسة الكتابة كما كان هو الأصل في تلك الآيات الفاضلة. (رندي عبد الحميد، 2018)
- 4- نظام التعليم والالتحاق فيه كان مجانا ولا يكلف إلا ثمنا بخسا يدفع في كل أيام السبت والأربعاء. وهذا في شمال نيجيريا كما بينا سابقا.
- 5- كثرة الحفلات الترفيهية التنشيطية التي تبث الحيوية والأريحية للتلاميذ الآخرين في حياتهم التعليمية والتي تشحن بالأغاني الشعبية الدينية الطيبة بقولهم:

يا من لم يتعلّموا العلوم القرآنية أفا لكم	Eyin te kewu Ekuuya
نحن منعمون بفضل القلم	Awan jaye kalaamu
من أضعف نصرا (سورة الجن، آية: 24)	Man aliafu nasiiran
وأقل عددا (جمبا، 1997: 13)	Wa akaluadaada

- كذلك يقدم المحتفل في الأمام بعد حلق رأسه وإتيانه بالطعام النقي إلى المدرسة ثم ينشدون تلك الأغاني في داخل المدرسة وخارجها شرقا وغربا والتلاميذ يفرحون في شمال المدرسة وجنوبها. تقع هذه الحفلات عندما ينتهي التلاميذ من سورة الفيل والأعلى والنبأ ولا سيّما عند توصل إلى سورة البقرة قبل الحفلة الختامية.
- 6- أنّ جميع شيخ هذه المدارس القرآنية كانوا على الاستقامة في الصراط المستقيم مع النية الصالحة، وعلى هذه الاستقامة يدربون التلاميذ لأنهم عرفوا أن الاستقامة خير شريعة في الحياة (مقداد ياجن، 1998: 53-54)

مثالب النظام القديم في المدارس القرآنية :

وقد أخذ على هذا النظام ما يلي:

- 1- أنه لا يعرف التنظيم في المنهج الدراسي ولم تقرر له الكتب الدراسية التي يستعملها التلاميذ وإنما شيخ الحلقة أو المعلم يعتمد على ذاكرته الوحيدة كلما يعلم التلاميذ.
- 2- لا يعرف هذا النظام أيضاً الفصول الدراسية كما لا ينتقل التلاميذ من فصل دراسي إلى فصل دراسي آخر ولا سيما الحصص الدراسية كانت مفقودة فيها.
- 3- لا يعرف هذا النظام تسجيل الغائبين والحاضرين من التلاميذ.
- 4- لا يعرف هذا النظام استعمال الكراسي والمكاتب في التعليم وإنما الجلوس والكتابة على الحصير فقط.
- 5- لا يعرف هذا النظام المدة الزمنية لتعليم القرآن الكريم ومبادئ الدين الإسلامي.
- 6- الالتحاق والقبول في هذه المدارس مفتوح طوال السنة العلمية.
- 7- لا تحديد العمر لمن يريد الالتحاق بها ولا يجبر ولي الأمر أن يأتي بأبنائه إليها.
- 8- وقد يستبعد التلميذ في هذه المدارس كما يشغل بشؤون أخرى دون التعليم.
- 9- استعمال الحصى لمن عصا كثير في هذه المدارس مما قد يورث الخوف والخجل للتلاميذ الصغار إلى الإتيان إليها ومقابلة معلمه ومؤدبه في هذه المدارس.
- 10- كان شيخ الحلقة هو الوحيد يعلم هؤلاء التلاميذ الكثر إلا أنه يضافه بعض التلاميذ الكبار , وإذا مرض الشيخ الأستاذ أو سافر فلا مفر من جعل المدرسة في ذلك اليوم ملعباً.
- 11- التدريس في فناء البيت أو في الدهليز ما أو تحت الشجرة قد لا يدعو إلى الانضباط التام وقد يلتفت التلاميذ يمينا وشمالاً أثناء التلقين والتعليم. وهذا مناف لأمر التعليم الجيد-(سارومي الأثري، 2013: 55-56)
- 12- كون القراءة عندهم صماء لا يفهم الأطفال معاني ما يقرؤون.
- 13- عدم العناية بقواعد الصحة في المجلس وآلة الدرس وشرب الماء كالجلوس على الأرض الجرداء أو الحصير الوسخ وشرب الماء للجميع بإناء واحد من جرة واحدة.
- 14- عدم العناية بتعليم الحساب وبعض العلوم الأخرى لازمة للحياة وأمور الدين الواجب معرفتها على كل مسلم.
- 15- منع الصبيان من اللعب المنظم في كثير من الكتاتيب مع سيادة الفوضى على جوّ المكتب كله لتعدد القراءة بتعدد القراء في مختلف السور (الإلوري، 1981: 36-37)

وكلما ذكرناها واعتبرناها مثالب التعليم القديم للمدارس القرآنية لا ينحطّ من قدرها شيئاً أو من إيجابها أو من وظيفتها التي قامت بها في توجيه أبناء المسلمين إلى الصراط المستقيم، وجميع هذه المثالب كانت منطقية تنطبق على جميع المؤسسات العلمية في بكر أوقاتها الأولى لأنّ هذه المدارس القرآنية القديمة هي نفسها تطوّرت فأصبحت المدارس القرآنية الحديثة تمتلك وتمتّع بالأدوات الحديثة.

المبحث الثالث: النظام الحديث للمدارس القرآنية مميّزاته ومساوئيه:

أخذ النظام الجديد للمدارس القرآنية في مدينة إلورن إحدى المناطق الشمالية حوالي سنة 1943م عند رجوع بعض الشيوخ من فرضة الحاج والعمرة وذلك الشيخ كمال الدين الأدبي المفتي العام الأول في مدينة إلورن عام 1937م . هذه الرحلة الدينية هي التي منحت زيارات متضاربة في بعض الدول العربية ليكشف ويقف إلى مناهج التعليم وتنظيم الصفوف الفصلية والاطلاع على المقررات الدراسية والكتب المدرسية التي تساعد التلاميذ إلى تقريب معاني الكتب الساسعة. ولما رجع من هذه الرحلة الإسلامية حاول تطبيق وتغيير وضع التعليم القديم في مدينته إلورن. ولكن في العام 1943م شرع في تطبيق وتطوير نظام التعليم العربي في مدرسته العربية ومنه أخذ بعض الشيوخ العلماء يقتبسون من ذلك الأسلوب الجديد ويدرجونه في نظام مدارسهم المختلفة (Adeshina, 2014: 45) مع العلم أن أول من أجاز استعمال الكتب المصورة من علماء نيجيريا هو الشيخ محمد اللبيب الإلوري، ونجح في تخريج نخبة من العلماء الفصحاء ولكنه لم يأخذ بالجلوس على المقاعد والمكاتب والكتابة على السبورة إلاّ تلاميذه من بعده، وعلى مقدمتهم الشيخ محمد كمال الدين الأدبي. لكن أول مدرسة عربية منظمة في نيجيريا هي مدرسة الشريعة بولاية كانو 1934م، أسسها أمراء شمال نيجيريا وأوفدوا إليها علماء من مصر والسودان وأنجبت المدرسة النواة الأولى من العلماء النجباء ثم صار في ولاية كانو وسوكوتو وبرنو وغيرها معاهد ومدارس مماثلة كثيرة (الإلوري، 1981: 58)

مميزات النظام الحديث للمدارس القرآنية:

يعدد الشيخ آدم عبد الله الإلوري ما يمتاز به النظام الحديث للمدارس القرآنية بثلاثة أشياء وهي : تقسيم المراحل الدراسية وتنظيم الصفوف التعليمية، واختيار المناهج والمواد الدراسية (الإلوري، 1981: 48) مع أننا نجد بعض أشياء أخرى يتغير بها ويتطوّر النظام الحديث على القديم منها أيضا استعمال الزيّ المدرسي، وأدوات الكتابة الحديثة، واستدراج بعض المواد الغربية والانضمام التام إلى المجلس الدولي لرعاية اللغة العربية والدراسات الإسلامية نيجيريا وذلك لتقوية شهادات التخرج التي تمنحها تلك المدارس للطلبة واستعمال تلك الشهادات لطلب الالتحاق والقبول في كل الجامعات في نيجيريا وخارجها (Adeshina, 2014: 47-56).

نظام التعليم في الكنائس بين الماضي والحاضر: شمال نيجيريا نموذجاً

- 1- نجد حولنا الكثير والكثير من المدارس تحتوي على أكثر من طوابق وكل طابق يحتوي على عدد كبير من الغرف، كما نجد إقبال من جميع الأولاد والبنات إلى دخول المدارس.
- 2- المدارس حديثاً تعتمد على تطبيق المناهج التعليمية التي تساعد كثيراً في تسهيل تلقي العلم للطلاب، أيضاً يمنح للطلاب الكثير من الكتب التي تساعد على تلقي العلم بالمدرسة وأيضاً بالمنزل.
- 3- المدارس حديثاً يوجد بها غرف لتعليم الحاسب الآلي وأيضاً غرف لتنمية مهارات الأطفال، نجد بها مكاناً مخصصاً لتناول الطعام كما نجد بداخلها الملاعب الكبيرة التي تنمي مهارات الطلاب الرياضية.
- 4- المدارس حديثاً تساعد كثيراً في تربية ونشأة الطفل، وبالتالي أن المدرس بالمدرسة مثل الأب والطلاب أصدقاء وأخوات فتأثر المدارس حديثاً كثيراً على فهم الطفل للحياة، أيضاً تؤثر على سلوكه وتعامله مع الآخرين (رندى عبد الحميد: 2018)
- 5- يوجد فيها المعمل اللغوي لتدريب مهارات اللغة العربية لدى التلاميذ.
- 6- إيجاد أجهزة الحاسوب التي تساعد على تسهيل تلقي العلم للكثير من الطلاب، فيمكن الطالب البحث عن أي معلومة وإيجاد شرح لها.
- 7- شبكة الإنترنت، تساعد كثيراً في تشويق الطلاب على استخدامها والبحث بداخلها عن الكثير من المعلومات.
- 8- الكثير من الكتب والمراجع، يجد الطالب الكثير والكثير من المعلومات داخل الكتب والمراجع، أيضاً تمكنه من حل الكثير من التمارين التدريبية التي تساعد كثيراً في تنمية مهاراته التعليمية. (رندى عبد الحميد: 2018)
- 9- استعمال بعض المدارس الحديثة شبكة الإنترنت لطلب الالتحاق والتسجيل فيها، مما يسهل مثل هذه المدارس تحديد عدد المقبولين في المدرسة واستعمال هذه الشبكة لتوفير جميع التلاميذ رقم التسجيل أو رقم القيد لكل واحد من هؤلاء التلاميذ.
- 10- توظيف المتخصص في كل مادة يقدمها للتلاميذ، مع توفير مكتب هيئة التدريس والمكتبة العامة ومكتب العميد وغيره من المكاتب اللازمة.

مساويه النظام الحديث للمدارس القرآنية:

- يقال إن الدسم الجيد الحلوي لا يتم إلا بالمؤونة المادية، لأنه هي الشجرة الطيبة التي كان أصلها ثابت في الأرض وفرعها تتمايل في السماء. لأنّ منيعرف المطلوب يحقر ما بذل في طلب العلم القيم كذلك لا ينظر إلى التعب والمشقة ولا النفقة ولا يلتفت إلى حدّ الفأس من يعرف قيمة العلم والأدب.
- 1- قلة المؤونة المادية تصد الطريق إلى إيجاد كل هذه المتلزمات لتكوين المدارس الحديثة مع أنه ليس هنالك هيئة ممولة لكل من هذه المدارس الحديثة إلا شذوذاً (الإلوري، 1981: 51)

2- جلب الخوف وخشية الرحمن في قلوب العلماء الأجلاء على إدراج المواد الغربية إلى المواد العربية واستعمال الفصول الدراسية وأدوات الكتابة الحديثة وغيرها كانت مما لم يألفوها من السلف الصالح قد يؤدي توظيف هذه الأدوات الحديثة في المدارس إلى الزندقة والطغاة، لأن الحصار قد تكون مؤذنة بالفساد حسب رؤية ابن خلدون (عاطف الشاعر:2020)

3- عدم الاعتناء بالجانب الروحي أكثر من هذا المنهج الحديث للمدارس القرآنية.

4- أن اهتمام التلاميذ بالمواد الأجنبية قد يرتفع يقلل ذلك في المواد العربية بحجة أن دارس العربية نظم في ذيل القائمة.

الخلاصة:

قد كانت الدهاليز والزوايا والمساجد والكتاتيب والرباط من المؤسسات التربوية للمدارس القرآنية القديمة ولها أهمية بالغة في حياة المسلمين من بث العلوم النافعة من تعليم قراءة القرآن الكريم وكتابته حسب الآيات الأولى المنزلة على النبي محمد صلى الله عليه وسلم وتعليم مبادئ الدين الإسلامي من علم النفس التربوي وعلوم التربية والعلوم الاجتماعية، وإن لم تسمى هذه العلوم بالمصطلحات الحديثة إلا أن تلك العلوم موجودة منذ قديم الزمن. وكان منهج التعليم في هذه المؤسسات التربوية القديمة متسايرا لذلك الزمن حيث يقف المعلم أو المؤدب أو شيخ الحلقة أمام التلاميذ يلقنهم قراءة الأهاجي وكتابتها في اللوح الخشبي وهم جالسون على الأرض الجرداء أو على الحصير الذي لا بأس به.

ثم جاء نصر من الله وفتح قريب أن ألهم بعض الشيوخ المسلمين واهتدوا إلى المنهج الحديث للتعليم العربي الإسلامي مع استعمال الأدوات الحديثة التي تناسب العصر المعاصر والتي تسهل كل الصعوبات التي يواجهها الدارسون مع الاعتراف الجميل أن القديم ضمير متصل لن ينفصل الحديث أبدا، فتغير موكب التعليم من تلك المؤسسات التربوية القديمة إلى استعمال الفصول الدراسية والمناهج التعليمية والمراحل التعليمية وإدراج بعض المواد الغربية إضافة إلى المواد العربية... والانتماء مع الانتساب إلى المجلس الدولي لشؤون اللغة العربية والدراسات الإسلامية في نيجيريا، الأمر فتح أبواب الخيرات والبركات إلى التحاق بعض دارس اللغة العربية والدراسات الإسلامية إلى الجامعات النيجيرية اليوم.

وكانت نتائج الدراسة هي:

1- أن المدارس القرآنية القديمة هي اللبنة الأولى في بذور الثقافة العربية الإسلامية في حياة الدارسين.

2- أن منهج التعليم القديم للمدارس القرآنية القديمة منهج التلقين وشرح المعلومات.

3- وأنّ منهج التعليم القديم قد يسوده الفوضى لعدم تنظيم التلاميذ إلى الفصول المختلفة.

نظام التعليم في الكنائس بين الماضي والحاضر: شمال نيجيريا نموذجاً

- 4- وأنّ المؤسسات التربوية القديمة هي الدهاليز والزوايا والمساجد والكتاتيب والرباط هي المدارس القرآنية القديمة التي تعني وتسهم في إماتة الجهل والجهالة في المجتمع الإنساني.
 - 5- وأنّ المدارس القرآنية الحديثة منظمة ومنتظمة بالمرحل الدراسية والمناهج التعليمية والفصول التعليمية مع الأدوات التعليمية الحديثة.
- وتوصي هذه الدراسة إلى أن بقية الباقية من المؤسسات التربوية القديمة ينبغي لها تطويرها وتنميتها لتسير على وفق المنهج الحديث للمدارس القرآنية الحديثة، وذلك لتقوية شهادتها وتسهيل السبل القويمة لتلاميذها لمواصلة الدراسة بعد تخرجهم منها مع مراعاة الهدف الأصيل القويم هو خدمة القرآن الكريم.

والمراجع:

- 1- طه أحمد المكاشفي، 2011م، *نظام التعليم في الخلوة وتطوره إلى المدارس القرآنية كتجربة لتأصيل التعليم في السودان*، جامعة إفريقيا العالمية، السودان: المركز الإسلامي الإفريقي، المؤتمر العالمي وأثره في بناء الحضارة الإنسانية.
- 2- شريف قليب، 2020م، *المدارس القرآنية تتحول إلى أقسام تحضيرية*، تاريخ النشر 2020/02/02م www.annasronline.com
- 3- الدكتور محمد خليفة صديق، 2017، *تجربة المدرسة القرآنية في السودان*، مجلة أصول الدين.
- 4- عبد الله بن أهنية، 2018م، *عند ما كانت الكنائس القرآنية سندا للمدارس العمومية*، 2018/05/12 www.hespress.com
- 5- الدكتور شيخو أحمد سعيد غلادنتي، 1993م، *حركة اللغة العربية وآدابها في نيجيريا*، الرياض: شركة العيكان للطباعة والنشر.
- 6- مجمع اللغة العربية، 1972م، *المعجم الوسيط*، القاهرة.
- 7- مختارية تراري، *التعليم بالكتاتيب القرآنية في الجزائر في منظور الدراسات النفسية والتربوية المعاصرة*، 2001م، <https://journals.openedition.org>
- 8- آدم عبد الله الإلوري، 1978م. *الإسلام في نيجيريا والشيخ عثمان بن فوديو الفلاني*،
- 9- الدكتور علي أبوبكر، 1972م. *الثقافة العربية في نيجيريا*،
- 10- رندی عبد الحميد، كيف كانت المدارس قديما وحديثا، 2018م، <https://www.thaqfya.com>
- 11- البروفيسور مشهود محمود محمد جمبا، 1997م، *واكا إلورن، فن أدبي إسلامي شعبي*، إلورن، توفيق الله للطباعة والنشر أولوجي.
- 12- الدكتور مقداد ياجن، 1998م، *توجيه المتعلم إلى منهج التعلّم في ضوء التفكير التربوي والإسلامي*، الرياض، دار عالم الكتب للطباعة والنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية.

- 13- سعد الإمام سارومي الأثري، 2013، *المعلم والمتعلم*، كوارا، نيجيريا، المطبعة السلفية للطباعة والنشر.
- 14- آدم عبد الله الإلوري، 1981م، *نظام التعليم العربي وتأريخه في العالم الإسلامي*، بيروت، لبنان، دار العربية للطباعة والنشر والتوزيع.
- 15- عاطف الشاعر، 2020م، *قضم تفاحة الطبيعة: الحضارة وابن خلدون وفرويد*، 2020/04/20م،

<https://www.alaraby.co.uk>

16- Adeshina Lukman, 2014, *the changing Phases of Islamic Learning in M.A. Dissertation Submitted in Partial 'Ilorin* Emirate up to the 20th Century, Fulfillment of the Requirements for the Award of Master of Arts Degree in History of the University of Ilorin.